منطلقات التأصيل العقدي وضوابطه عند العوتبي في كتاب الضياء وأثرهما

The Theological Foundations and Principles of Legal Justification in Al-Awtabi's Book "Al-Diya" and Their Impact.

الباحث الأول

راشد بن حميد بن محمد الجهوري

طالب دكتوراه - جامعة الزيتونة - تونس

Rashid bin Humaid bin Mohammed AL Jahwari

ضيان الجهاور - ولاية السويق - سلطنة عمان

ra.aljahwari@gmail.com

٩٢٢٠٦٩٢١

الباحث الثاني

د. أحمد بن يحيى بن أحمد الكندي

أستاذ مشارك - جامعة السلطان قابوس

Ahmed bin Yahya bin Ahmed AL Kindi

مسقط - الحيل الجنوبية - سلطنة عمان

Abuyahya101@gmail.com

٩٢٨٠٠٤٩٤

الملخص

تُعَدُّ الموسوعات الشرعية العُمانية كنزٌ ثمين لمَّا جمعته من علومٍ متنوعة، ويأتي هذا البحث كمحاولة للكشف عن أحد الجوانب العقدية الهامة، ألا وهو جانب (التأصيل العقدي)؛ وذلك من خلال الموسوعة الشرعية العُمانية الضياء للعلامة سلمة بن مسلم العوتبي، وبيان المنهج الذي اتبعه في ذلك؛ خصوصاً أنّه لم يحظَ منهج العلامة العوتبي في جانب التأصيل العقدي بدراسة تبرزه، وتبرز أثره في تقرير مسائل العقيدة، مع أهمية النتاج الفكري لهذا العالم، وأهمية موسوعته الضياء، وسلطت هذهِ الدراسة الضوء على هذا الجانب مجيبة عن الأسئلة الآتية: ما أهمية منهج التأصيل العقدي عند العوتبي في موسوعة الضياء؟ ما أهم ضوابط منهج التأصيل العقدي وصور ذلك عنده؟ ما آليات توظيف منهج التأصيل العقدي وثمرة ذلك عنده؟

وقد اتبع الباحثان المنهج الاستقرائي في تتبع المسائل العقدية التي عالجها العوتبي، وكذلك وظفا المنهج التحليلي للوصول إلى معالم منهج التأصيل العقدي عنده، وكانت خطة البحث على النحو الآتي: تناول **المحور التمهيدي:** مفهوم التأصيل العقدي، وترجمة مختصرة للعوتبي وموسوعته الضياء، وأمّا **المحور الأول** فقد تناول: الأهمية والمنطلقات في منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء، وجاء **المحور الثاني** ليناقش: الصور والضوابط في منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء، و**المحور الثالث** بحث في: آليات وثمار توظيف منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء.

وقد توصل الباحثان إلى النتائج الآتية: برزت أهمية التأصيل العقدي عند العوتبي من خلال تقدير مكانة العقيدة الإسلامية، والتفريق بين الحقائق والأوهام، والتدليل على قوة منهج المدرسة التي ينتمي إليها، والكشف عن الشبهات العقدية، ومعالجة أحكام النوازل العقدية، وبيان منهج الرد على المخالف، وكان للعلامة العوتبي في تأصيله العقدي منطلقات منها: التنزيه المطلق لله تعالى، ومنهج رد المتشابه على المحكم، واعتماد منهج التأويل، والعناية بمعهود الخطاب العربي، وتوظيف العقليات بشكل صحيح، والبناء على الأصول العقدية، وقد جاء التأصيل العقدي عند العوتبي على عدة أشكال وصور منها: ذكر الحكم العقدي متبوعاً بالدليل، وترابط نسق الأحكام العقدية، ومنهج الاختصار، وذكر الأقوال دون تعقيب، وتقسيم المسألة محل التأصيل، وذكر مقدمة ثم الأدلة من القرآن فالسنة فالشواهد الشعرية، وطول النفس في المعالجة، وذكر الاختلاف

ثم التأصيل، ومن ضوابط التأصيل العقدي عند العوتبي: تحري صحة الأدلة النقلية، وتحري النقل عن السابقين، والبناء على قواعد عقدية صحيحة، واستيعاب المسألة وردودها واعتراضاتها، والعلم بقواعد التعارض والترجيح.

الكلمات المفتاحية: منهج، التأصيل، العقيدة، العوتبي، الضياء.

Summary:

The Omani legal encyclopedias are considered a valuable treasure for the various sciences they have collected. This research comes as an attempt to uncover one of the important doctrinal aspects, which is the aspect of (doctrinal rooting). This is through the Omani Sharia Encyclopedia Al-Diya' by the scholar Salamah bin Muslim Al-Awatbi, and an explanation of the approach he followed in this regard. Especially since the scholar Al-Awatbi's approach in the aspect of doctrinal rooting has not received a study that highlights it and highlights its impact in deciding issues of belief, with the importance of the intellectual production of this scholar, and the importance of his encyclopedia Al-Diya, and this study shed light on this aspect by answering the following

questions: What is the importance of the rooting approach? Al-Aqdi according to Al-Awatbi in the Encyclopedia of Light? What are the key principles of the doctrinal grounding methodology, and how does he illustrate them in his work? What are the mechanisms for applying the doctrinal grounding methodology, and what are the outcomes or fruits of this approach according to him?

The researchers employed the review method to examine the doctrinal issues addressed by Al-Autobi. They also utilized the analytical method to identify the features of his doctrinal grounding methodology. The research plan was structured as follows: **Preliminary Axis:** Understanding the Concept of Doctrinal Grounding, a brief translation of Al-Autobi, and his encyclopedia "Al-Diya." For **First Axis:** It discussed: The significance and foundations of the doctrinal grounding methodology in the "Al-Diya" encyclopedia. **Second Axis** To discuss: The forms and criteria in the doctrinal grounding methodology in the "Al-Diya" encyclopedia. **Third Axis** Examination of Mechanisms and Outcomes of Applying the Doctrinal Grounding Methodology in the "Al-Diya"

Encyclopedia.

The researchers reached the following results: The importance of doctrinal grounding in the methodology of Al-Awtabi emerged through recognizing the status of Islamic

creed, distinguishing between facts and illusions, highlighting the strength of the school's methodology to which he belongs, revealing doctrinal doubts, addressing the rulings of doctrinal crises, and illustrating the approach to responding to dissenting views. The doctrinal grounding methodology of Al-Awtabi is characterized by principles such as absolute exaltation of Allah, the approach of responding to ambiguous verses with clear ones, adopting the method of interpretation, caring for the linguistic context of the Arabic discourse, correctly employing rational thinking, and building on doctrinal principles. The doctrinal grounding in AlAwtabi's work takes various forms, including stating the doctrinal ruling followed by evidence, interconnecting the doctrinal rulings, using an abbreviated method, mentioning opinions without commentary, dividing the issue as a place for grounding, presenting an introduction followed by Evidence from the Qur'an, then the Sunnah, and poetic evidence, maintaining thoroughness in addressing the issues, mentioning differences before grounding, and observing criteria such as verifying the validity of transmitted evidence, checking the transmissions from predecessors, building on sound doctrinal principles, understanding the issue and its responses and objections, and being aware of the rules of contradiction and preference.

Keywords: Methodology, Doctrinal grounding, Creed, AlAwtabi, Al-Diyya.

منطلقات التأصيل العقدي وضوابطه عند العوتبي في كتاب الضياء وأثرهما

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصلاة والسلام على خير البرية محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، وبعد؛

تُعَدُّ الموسوعات الشرعية العُمانية في هذا السياق كنزٌ ثمين لمَّا جمعته من علومٍ متنوعة، ويأتي هذا البحث كمحاولة للكشف عن أحد الجوانب العقدية الهامة، ألا وهو جانب (التأصيل العقدي)؛ وذلك من خلال الموسوعة الشرعية العُمانية الضياء للعلامة سلمة بن مسلم العوتبي، وبيان المنهج الذي اتبعه في ذلك.

لم يحظَ منهج العلامة العوتبي في جانب التأصيل العقدي بدراسة تبرزه، وتبرز أثره في تقرير مسائل العقيدة، مع أهمية النتاج الفكري لهذا العالم، وأهمية موسوعته الضياء، وستسلط هذهِ الدراسة الضوء على هذا الجانب مجيبة عن الأسئلة الآتية:

ما أهمية منهج التأصيل العقدي عند العوتبي في موسوعة الضياء؟ ما أهم ضوابط منهج التأصيل العقدي وصور ذلك عنده؟ ما آليات توظيف منهج التأصيل العقدي وثمرة ذلك عنده؟

وأمَّا أهداف البحث فهي كالآتي:

- التعريف بجانب من جوانب التراث العقدي للأجيال المعاصرة.
- الوقوف على موضوع عقدي له أهمية كبيرة في تقرير مسائل العقيدة، وفهم معالمه بشكل صحيح.
- الاستفادة من منهج التأصيل العقدي عند العلامة العوتبي في معالجة النوازل العقدية المعاصرة.

وسيتبع الباحثان المنهج الاستقرائي في تتبع المسائل العقدية التي عالجها العوتبي، وكذلك سوف يستخدم المنهج التحليلي للوصول إلى معالم منهج التأصيل العقدي عنده.

وستكون خطة البحث على الشكل الآتي:

المحور التمهيدي: مفهوم التأصيل العقدي، وترجمة مختصرة للعوتبي وموسوعته الضياء.

المحور الأول: الأهمية والمنطلقات في منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء.

المحور الثاني: الصور والضوابط في منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء.
المحور الثالث: آليات وثمار توظيف منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء.
الخاتمة: نتائج البحث.
الكلمات المفتاحية: منهج، التأصيل، العقيدة، العوتبي، الضياء.
المحور التمهيدي: مفهوم التأصيل العقدي، وترجمة مختصرة للعوتبي وموسوعته الضياء.

أولا: مفهوم التأصيل العقدي:

التأصيل لغةً: التأسيس ووضع الأصل، وهو ما يبنى عليه غيره(١)، وأمَّا اصطلاحاً: (هو بناء المسائل العقدية بناء محكماً، موافقاً للأصول الكلية للمنهج الصحيح، جارياً على وفق قوانين الاستدلال الصحيحة المعتمدة)(٢)، أمَّا منهج التأصيل العقدي هو (الطريقة التي يتبعها الناس لمعرفة دينهم وتقرير أصوله ومسائله ودلائله)(٣)، وخلاصة التعريف التي يمكننا أن نضعها كمدخل لهذه الدراسة هي: عملية منهجية تقوم على قواعد وضوابط تهدف للوصول إلى نتائج وآراء صحيحة في مسألة عقدية معينة عبر مراحل من الاستدلال والتحرير والتقرير.

ثانيا: ترجمة العلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي (عبقرية المتكلم وبراعة الأديب):

لقد عُنيت كتب التراجم ببيان المعلومات الأساسية عن العالم المُترجم له، وهو عُرفٌ سار عليه المتقدمين والمتأخرين، وله بطبيعة الحال أهميته الكبيرة وفائدته الجليلة، ولكن ستكون هذه الترجمة مختلفةً عن هذا العرف؛ نظرا لضيق المقام عن التفصيل من جهة؛ ولأنَّ البحث في مفاتيح العبقرية يُبعد عن الكلام المكرر، ويعطي فوائد جديدة من جهة أخرى، وحسبنا أن نذكر العصر الذي عاش فيه العوتبي على الأرجح وهو نهايات القرن الخامس الهجري وبدايات القرن

---

(١) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٢٧/٤٤٧.

(٢) العريفي، سعود، صناعة التأصيل العقدي، ضمن كتاب جماعي: صناعة التفكير العقدي، تحرير: سلطان بن عبد الرحمن العميري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر، السعودية، ط٣، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص١٨.

(٣) عثمان، علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ج١/ ١٩-٢٠.

السادس الهجري[١].

لو جمعنا خلاصة الأوصاف التي ذكرتها كتب التراجم والدراسات في العلامة العوتبي، لرأينا أنَّها تتركز في الأوصاف الآتية: (مؤرخ ونسَّابة وفقيه أصولي ومتكلِّم لغوي)[٢]، ولو حولنا النظر إلى التراث العلمي الذي تركه العوتبي لرأينا أنَّ كتاب الأنساب يؤكد صفة (المؤرخ والنسَّابة)، وكتاب الإبانة يؤكد صفة (اللغوي والأديب)، وموسوعة الضياء تؤكد صفة (المتكلِّم والفقيه الأصولي واللغوي)؛ ولكنَّ المزاوجة بين المادة العلمية والتراجم من شأنه أن يظهر أسرار العبقرية وطبيعة الاشتغال العقلي عنده ومظاهر التميُّز والإبداع.

تُظهر المزاوجة بين ما ورد في كتب التراجم عن العوتبي وبين المادة العلمية التي تركها عدة نقاط منها: استغلال قدراته العقلية إلى حدود عليا من التفكير والتأمل وطول المعالجة، ويتبع ذلك قدرة كبيرة على الصبر والجلد وطول النفس، وقبل ذلك توفر مخزون ضخم من الأدلة النقلية والآثار والشواهد الشعرية، مع ثراء واسع في اللغة والمفردات ومعانيها والمعرفة الوافية بمعهود الخطاب العربي، ثمَّ امتلاك أدوات الاجتهاد الفقهي وآليات معالجة علم الكلام مع انفتاح على المدارس الإسلامية الأخرى، والاطلاع على أقوالها، ويجمع شتات هذه الصفات أنّه صاحب مشاريع علمية، أبرزها بطبيعة الحال مشروع موسوعة الضياء، الذي سيأتي الحديث عنه في النقطة الآتية.

ثالثا: التعريف بموسوعة الضياء:

يُعتبر كتاب الضياء من أشهر الموسوعات العُمانية؛ حيث جاء فريداً بأسلوبه، وحسن تبويب أبوابه وفصوله، ومتميِّزاً بمنهجه العلمي، وواسعاً بشموله على موضوعات العقيدة والفقه، فقد جاء في اثنان وعشرين جزءاً؛ الثلاثة الأولى منها هي التي تُعنى بها هذه الدراسة؛ لأنها اشتملت على أبوابٍ في العقيدة منها: التوحيد، والأسماء والصفات، والأسماء والأحكام، المذاهب والملل، والولاية والبراءة والقدر وغيرها، أمّا الأجزاء الأخرى فقد تناولت أبواباً فقهية متنوعة، فالضياء بهذا يعتبر منجزٌ علمي فكري ثمين، وبحرٌ من المسائل المؤصلة تأصيلاً منهجياً تحاول هذه الدراسة أن تكشف بعض معالمه.

---

(١) الشيباني، سلطان بن مبارك، سلمة بن مُسْلم بنِ إبْرَاهيمَ الأَزْدِيّ العَوْتَبِيّ الصّحَارِي، بحث مرقون لدى الباحث نسخة منه، ص٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢.

المحور الأول: الأهمية والمنطلقات في منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

تُعتبر عملية التأصيل العقدي من العمليات الرئيسة في بناء المسائل العقدية داخل المصنف العقدي؛ نظراً للتأثير المباشر الذي تقوم به في محاولة الوصول لآراء عقدية صحيحة، وذلك عبر مراحل من التحرير والتحقيق، وفي الوقت ذاته لابد لعملية التأصيل العقدي من منطلقات عامة توضح التوجه الذي يسلكه المتكلم في تصنيفه وتحريره، ويحاول الباحثان من خلال هذا المحور استخلاص هذه الأهمية، وتحديد هذه المنطلقات من خلال موسوعة الضياء.

أولا: أهمية منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

يُظهر تتبع المسائل العقدية التي عالجها العلامة العوتبي في موسوعته الضياء عدداً من النقاط التي تُبرز جانب الأهمية في منهج التأصيل العقدي لديه، وهذه النقاط لا يمكن تجاوزها في سياق الحديث عن عموم منهج التأصيل العقدي؛ لأنها تلفت النظر إلى جانب العناية بهذا الموضوع المرتبط بنتاج عقدي له مكانته في التراث الموسوعي العُماني، ومن هذه النقاط:

١- تقدير مكانة العقيدة الإسلامية، وأنَّها أول ما ينبغي أن يعلمه المكلف:

نجد العلامة العوتبي يشير إلى هذه النقطة بقوله: (وما أمروا باعتقاده قسمان: قسم إثبات، وقسم نفي، فأمَّا الإثبات: فإثبات توحيده وصفاته وتصديق رسوله ﷺ فيما جاء به، وأمَّا النفي: فنفي الصاحبة والولد والأشباه والحاجة والقبائح أجمع، وهذان القسمان أوَّل ما كلّفه العاقل)[(١)]، ولا شك أنَّ عملية التأصيل العقدية تساهم في بيان مكانة العقيدة وأهميتها.

٢- صون المجتمع من العقائد البدعية والانحرافات المنهجية[(٢)]: إنَّ التأصيل العقدي المنهجي الصحيح من شأنه أن يبين في الجانب المقابل الانحرافات المنهجية في الجانب العقدي عند بعض الفِرق أو المفكرين؛ والتي لم تستند إلى تأصيل عقدي منضبط، وأدت إلى ظهور عقائد بدعية في المجتمع، وإبطالها يكون من خلال التأصيل الصحيح، وهناك شواهد في الضياء تدل على ذلك، منها: (وكذلك يكره لمن يعمل عملاً أن يقول عند فراغه منه: «لا إله إلا الله»، فيجعل ذلك علامة لفراغه من عمله، كالبنَّاء والكيَّال والعدَّاد وكلِّ ذي عمل إذا فرغ من عمله

(١) العوتبي، سلمة بن مسلم الأزدي الصحاري، الضياء، تحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم الوارجلاني، وداود بن عمر الوارجلاني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ج١/٥٤٤.

(٢) ينظر: الجعبيري، فرحات بن علي، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة الاستقامة، مسقط، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٧٦٦.

أو بلغ منه شيئاً، وأراد رفع يده عنه قال «لا إله إلا الله»؛ فهذا لا يجوز)، ولعل في النهي عن ذلك تحرزاً من التستر على العيوب الواردة في هذه المعاملات بقول «لا إله إلا الله»، فنحن نرى هذا التنبيه العقدي في وسط تأصيل مسائل العقيدة.

٣- التفريق بين الحقائق والأوهام من خلال بيان قوة الحجة والدليل(١): لقد صرح العوتبي بذلك حين قال: (وكُلُّ حجَّة دلالة، وليس كُلّ دلالة حجَّة)(٢)، وهو بيانٌ واضح أنَّ عملية التأصيل تقوم على الحجة التي تثبت الحقائق وتدفع الأوهام، وسيأتي من خلال مبحث آليات التأصيل العقدي عند العوتبي في هذه الدراسة تأكيدٌ على ذلك بشكل تطبيقي.

٤- التدليل على قوة منهج المدرسة العقدية التي يتبّعُها العلامة العوتبي(٣): حيث نرى العلامة العوتبي يورد الكثير من الآثار عن علماء المدرسة الإباضية، ويبني عليها تأصيله العقدي للمسائل، وفي ذلك تدليل على قوة منهج الفكر العقدي فيها؛ لأنه يستعرض نتائج تأصيلهم العقدي وفق الأصول والقواعد التي اعتمدتها المدرسة الإباضية بتخريج صحيح وتأصيل سديد، وفي تأصيل العوتبي تأكيد لقوة هذا المنهج، وإبرازٌ له، فكثيرٌ ما يعقب على هذه الآثار التي ينقلها(٤).

٥- كشف الشبهات المضللة، وسد ذريعة الالتباس على الناس: ومثال ذلك رد العوتبي لشبهة السؤال: أفيقدر الله أن يخلق مثله؟ حيث رد بقوله: (قيل له: لا مثيل لله؛ فهذا سؤال فاسد مستحيل، إذ لا يُشبَّه الخالق بالمخلوقين)، ثم أضاف: (وهو سؤال ظاهر فساده، ولا يجوز لقائله لفساده واستحالته)(٥).

٦- تقديم منهج واضح في التعامل مع النوازل العقدية ومعالجتها(٦): وقد ظهر ذلك في أكثر من موضع في موسوعة الضياء، سواءً على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق، فمن حيث التنظير يقول العلامة العوتبي: (وإذا كانت الحادثة في الدين من الأصول ممَّا عليه نصٌّ من الكتاب أو السُّنة أو إجماع الأمة كان الاختلاف بين الفقهاء خلعاً منهم لبعضهم بعضاً، أو براءة،

(١) ينظر: العريفي، سعود، صناعة التفكير العقدي، مصدر سابق، ص٢١.

(٢) العوتبي، الضياء، ج٣/٢٨.

(٣) يقول زكريا المحرمي: (قد أسس الإباضية تصورهم للبنيان العقدي على مجموعة من القواعد الكلية المستوحاة من النصوص المحكمة من الكتاب العزيز والدلائل العقلية القطعية)، ينظر: المحرمي، زكريا، الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، بحث مرقون لدى الباحث نسخة منه، ص١٣.

(٤) العوتبي، الضياء، ج٣/ ٧٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١/٦٤٨.

(٦) ينظر: العريفي، سعود، صناعة التفكير العقدي، مصدر سابق، ص٢٢.

أو تضليلاً، وكان الحقّ في واحد، ومن خالفه كان ضالاً قد حاد عن الهداية والصواب)[١]، ويتابع قوله في وصف الحادثة إن كانت تحتمل القول بالرأي: (وإن كانت الحادثة ممَّا يجوز القول فيها بالرأي وُكِل الفقهاء على عقولهم واجتهاد رأيهم ممَّا ليس عليه نصّ ولا سُنَّة ولا إجماع، جاز لِكُلّ منهم أن يجتهد برأيه ويتحرَّى الصواب في حكمها)[٢]، ومن هنا تظهر الحاجة إلى التأصيل العقدي للحوادث والنوازل وفق منهج واضح يفرق بين مسائل الدين ومسائل الرأي.

وأمّا في جانب التطبيق فإنَّنا نراه يسقط التنظير السابق على مسألة الولاية والبراءة؛ وتحديداً في قضية عزل الإمام الصلت بن مالك[٣]، واختلاف مواقف العلماء فيها، وهي وإنْ كانت سابقةً على عصره إلا أنَّ امتداد آثارها في الفترات اللاحقة جعلها نازلةً وحادثةً متجددة؛ الأمر الذي دفع العوتبي إلى تأصيل المسألة، والحكم فيها[٤].

٧- الكشف عن منهجية التعامل مع الأدلة، ومنهجية توظيفها في عملية الاستدلال: فلا شك أنَّ عملية التأصيل تقوم بهذا الدور؛ لأنَّ الاستدلال هو أحد مراحل التأصيل، والعلامة العوتبي أظهر عبقرية فريدة في توظيف عملية الاستدلال، والوقوف على منهجه في ذلك يشكل أهمية كبيرة للمشتغلين بعلم أصول الدين.

٨- الكشف عن منهج الرد على المخالف، ومنهج الاعتراض عليه من خلال عملية التأصيل: وهذه النقطة تتبع النقطة السابقة، وسيأتي مزيد بيانٍ لها عند مناقشة آليات توظيف منهج التأصيل العقدي عند العوتبي، والرد على المخالف والاعتراض عليه منهج، وعملية التأصيل العقدي تعين على الكشف عن معالم هذا المنهج، وبالتالي الاستفادة منها في رد شبهات المخالفين.

ثانياً: منطلقات منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

تشكل المنطلقات في أي مجالٍ من مجالات العلوم الإطار الذي يتحرك فيه الفكر أثناء عملية معالجة مسائل المجال محل المعالجة، وفي مجال التأصيل العقدي تعتبر المنطلقات ركائز يستند إليها المتكلم أثناء تحريره للمسائل، والعلامة العوتبي في موسوعته الضياء كان له منطلقات توجه

(١) العوتبي، الضياء، ج٣/١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٣/١٨.

(٣) ينظر لمزيد من التوسع: الريامي، علي بن سعيد، قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي، بيت الغشام، مسقط، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص٢٣٣.

(٤) العوتبي، الضياء، ج٣/١٣٩.

بوصلة تأصيله لمسائل العقيدة، وفيما يأتي إبراز لأهم هذه المنطلقات عنده، وتحت كل منطلق شواهد تدل عليه:

١- **التنزيه المطلق لله تعالى عن مشابهة المخلوقات:** يعتبر هذا المنطلق من أقوى المنطلقات التي اعتمدها العوتبي في تأصيله لمسائل العقيدة؛ وخصوصاً في المسائل المرتبطة بأسماء الله وصفاته، ومن شواهد ذلك:

- لا يجوز نداء الرب سبحانه وتعالى بـ (يا أيُّها)؛ لأنَّ (يا أيُّها) للمخاطب المشاهد المدرك المشار إليه، والله تعالى لا يدركه مخلوق ولا يشاهده(١).

- في مسألة (في أنَّ الله لم يزل ولا يزال) يقول العوتبي: (لا يجوز أن يقال بهذا القول من غير أن يوصف بصفة من صفاته؛ لأنه لو لم يوصف كان مثبوراً لا معنى له)، ومن أمثلة ذلك: جواز أن يقال: لم يزل قديماً، لأنَّ القديم لا بد أن يكون كائناً غير فانٍ ولا معدوم(٢).

- (يوصف الله تعالى بأنَّه مختار، ومعناه أنَّه مريد له إذْ لم يكن مُلْجَأً إلى ما أراده، ولا مضطرّاً إليه، والإرادة هي الاختيار في اللغة)(٣)؛ نلحظ جانب التحرز من التشبيه واضحاً.

- (لا يجوز أن يقال: ما أحسن علم الله، وقدرة الله، وعزَّة الله، وإنَّ الله لَحَسَنُ العلم والعزَّة والقدرة، هذا لا يجوز: لأنها صفات الله، و "ما أحسن" في الأفعال مدح وتعظيم، وفي الذات تصغير)(٤)، وهو ملحظ دقيق يدل على عنايته بمنطلق التنزيه لله تعالى.

٢- **رد المتشابه من الآيات إلى المحكم منها:** صرح العوتبي بهذا المنطلق في أكثر من موضع تأصيلي، ومن ذلك قوله: (إنَّ هذه الآية المتشابهة يحتمل ظاهرها من التأويل وجهين مختلفين، يستدل على مراد الله عز وجل بها من جهة اللغة ومن آية أخرى محكمة)(٥)، أورد هذا التعقيب في سياق الاستدلال بقوله تعالى: «وكنتم على شفا حفرةٍ من النَّار فأنقذكم منها» [آل عمران: ١٠٣] في تأصيل مسألة هل المؤمن هو المسلم.

---

(١) العوتبي، الضياء، ج١/٥٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١/٦٦٢-٦٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢/٢٢.

(٤) المصدر السابق، ج٢/٧٥.

(٥) لمزيد من التوسع في هذه المسألة ينظر: الخليلي، أحمد بن حمد، برهان الحق، دار الكلمة الطيبة، مسقط، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ج١/ ص١٩٧ وما بعدها.

٣- **اعتماد منهج التأويل بما يتناسب مع قواعد اللغة العربية:** إنَّ اعتماد العوتبي على التأويل أثناء الاستدلال ببعض النصوص من الكتاب والسنة ظاهرٌ بكثرة في موسوعته الضياء، وهو منطلقٌ لا يكتمل التأصيل المنهجي العقدي إلا به؛ ومن شواهد ذلك ما أورده العوتبي في موسوعته: (وهذا التأويل أصح في اللغة، وأليق بصفات الله عز وجل)(١)، ويظهر في هذه العبارة التصريح بالاعتماد على التأويل، وعلى المنطلق الذي سبق ذكره وهو تنزيه الله تعالى.

٤- **العناية بمعهود الخطاب العربي في فهم مقصود النص الشرعي المستدل به:** ظهر ذلك في التنبيه المتكرر الذي يورده العوتبي من خلال مفردات: (التوسع والمجاز)(٢)، وعبارة (إلا المجاز دون الحقيقة)(٣)؛ خصوصاً فيما يرتبط بأسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى، وما يجوز في حقه، وما لا يجوز، وهو تأكيد للتنزيه المطلق لله سبحانه، والتحرز من التشبيه، وهذا التوسع والمجاز لا يمكن أن يكون إلا بمعرفة معهود الخطاب العربي، وقد بلغ العوتبي في ذلك المكانة الراسخة(٤)، سواءً على مستوى الألفاظ ومعانيها، أو على مستوى غزارة الشواهد الشعرية التي يستحضرها(٥)، يضيق المقام عن ذكرها.

٥- **عدم التحرج من إيراد الرأي المخالف وحججه بدون تجريح أو طعن:** يشتمل منهج العوتبي في موسوعة الضياء على استعمال المنهج المقارن في تأصيل المسائل العقدية؛ ولذلك نراه لا يتحرج من إيراد الرأي المخالف، ومن شواهد ذلك قوله في تأصيل أحد المسائل العقدية: (ولم أذكر أنا قوله هذا اتِّباعاً ولا تصويباً له، وإنَّما ذكرته كما ذكرت قول غيره من مخالفينا ليُعلم إن شاء الله)(٦)، وهذا المنهج يبرز التَّمكن العلمي الذي وصل إليه العلامة العوتبي.

٦- **توظيف البرهان الصحيح في العقليات:** وهو الذي ينبني على الحد والقياس والطرد والانعكاس، ولا يخالف أصول النظر العقلي(٧)، ويستعمل التعليل العقلي في الوصول إلى أحكام

---

(١) العوتبي، الضياء، ج١٨٦/٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج٦٢٤/١-٦٢٧، وهناك مواضع أخرى كثيرة.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ج٦٣٤/١. وهناك أمثلة كثيرة على هذه العبارة.

(٤) ينظر: العوتبي، سلمة بن مسلم، الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م/ الدسوقي، إبراهيم، معجم الإبانة للعوتبي (المنهج، اللغة، المادة المعجمية، طبيعتها، مصادرها)، ضمن كتاب: قراءات في فكر العوتبي، المنتدى الأدبي، مسقط، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م،ص١٥.

(٥) بلغ عدد الشواهد الشعرية في موسوعة الضياء أكثر من ١٦٠٠ بيت شعري، ينظر: العوتبي، الضياء، ج٢٣/ ٢٦٣-٢٩٢.

(٦) العوتبي، الضياء، ج١٩٦/٢.

(٧) ينظر: الوارجلاني، يعقوب بن إبراهيم، الدليل والبرهان، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة،

عقدية عبر عملية التأصيل، وقد ذكر العوتبي في سياق ذكره للمصادر الأصلية التي يعتمد عليها في عملية التأصيل حجة العقل، حيث يقول: (فقد دلَّ الكتاب واللغة والسُّنة وحجَّة العقل على صحَّة ما ذهبنا إليه من تأويل الآية وبطلان مذهب مخالفينا)(١)، ويقول في سياق آخر: (الحقّ يُعرف من أربعة أوجه: من الكتاب والسُّنة والإجماع وحجَّة العقل)(٢)، وسيأتي مزيد من التفصيل في هذا الموضوع عند الحديث عن آليات التأصيل.

٧- **الالتزام بالأصول العقدية للمدرسة الإباضية التي ينتمي إليها العوتبي:** لم يخرج العوتبي عن الأصول العقدية للمدرسة الإباضية التي ينتمي إليها، والمنطلقات السابقة التي مرَّت معنا تؤكد ذلك، وهو انتماء إلى منهج مدرسةٍ إسلاميةٍ معتدلةٍ(٣)، ومن شواهد هذا الالتزام تصريحه في سياقات مختلفة بهذا الانتماء، ومن ذلك: أنَّه عقد فصلاً في موسوعته الضياء بعنوان: (قول أصحابنا في القدر، ونفي اتّهامهم بالجبر)(٤)، ويقول في سياق تأصيل مسألة الإسلام والإيمان: (فدَّل أن الإيمان هو الإسلام، وإلى هذا القول يذهب أصحابنا -رحمهم اللّٰه)(٥)، فهو بهذا يستحضر الأصول العقدية للمدرسة التي ينتمي إليها أثناء عملية التأصيل، والتي لا تنفي – بطبيعة الحال- دائرة الاجتهاد والتجديد التي قدمها في موسوعته.

المحور الثاني: الصور والضوابط في منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

لم يأتِ التأصيل العقدي في موسوعة الضياء على صورةٍ واحدة؛ بل تعددت صوره وتنوعت أشكاله، ولعل ذلك راجعٌ إلى طبيعة المسألة محل التحرير والتأصيل، أو راجعٌ إلى نظر المحرر من ناحية التفصيل أو الإيجاز، أو من ناحية التفريع والمعالجة، ويصحب ذلك بطبيعة الحال ضوابط وقواعد تضبط هذه الصور التأصيلية، ويُعنى هذا المحور باستخلاص هذه الصور والضوابط.

سلطنة عمان، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج٦/٣.

(١) العوتبي، الضياء، ج٢/ ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١١/٣.

(٣) ينظر: الصلابي، علي محمد، الإباضية مدرسة بعيدة عن الخوارج، بدون دار نشر، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م، ص٩٣١.

(٤) العوتبي، الضياء، ج٢/ ٢٢٤.

(٥) العوتبي، الضياء، ج٨٣/٣.

أولاً: صور وأشكال التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

يُظهر تتبع المسائل العقدية الواردة في الأجزاء الثلاثة الأولى من موسوعة الضياء صوراً وأشكالاً متعددة لطريقة عرض المسألة ومنهج تأصيلها، وجميعها يؤدي إلى إظهار نتائج هذا التأصيل، والوصول إلى آراء عقدية صحيحة أو تأكيد الأصول العقدية المتفق عليها داخل المدرسة الإباضية، ومن هذه الصور:

١- **بيان الحكم العقدي متبوعاً بذكر التعليل أو السبب الذي بُني عليه الحكم:** ومثال ذلك ما أورده العوتبي في باب وجوب التكليف: (وأوَّل ما على العبد معرفة ما افترض عليه المفترض؛ لأنه لا يؤدّي المفترَض حتَّى يعرف الذي افترض عليه هذه الفريضة حق معرفته؛ لأنه لا يجوز أن يتقرب إلى من لا يعرفه ..)[١]، وفي سياق تأصيل معنى (هو) في قوله تعالى: «قل هو الله أحد» [الإخلاص: ١] بعد ذكره أنَّها تأكيد لاسم الله تعالى يعلل ذلك بقوله: (لأنَّه ذكر هو على الإشارة إليه عز وجل، والإيماء نحوه؛ لأنَّه «هو وإنَّه وإنَّما» إشارة إلى غائب، كما أنَّ "هذا» إشارة وإيماء إلى شاهد حاضر)[٢]، وهناك أمثلة كثيرة على هذه الصورة يضيق المقام عن ذكرها.

٢- **ترابط نسق الأحكام العقدية التي وصل إليها:** ومعنى ذلك أنَّ كل نتيجة تؤدي إلى الأخرى، وظهر ذلك في موسوعة الضياء في أكثر من مناسبة، ومنها: ما أورده العوتبي في سياق تأصيل مسألة أول ما ينبغي على كل عاقل فيقول: (وعلى كُلّ عاقل بالغ يوحّد الله تعالى ولا يوحده إلَّا من عرفه وأقرّ به، ومن لا يعرفه فلا يوحِّده بل يجحده)، ثم يضيف نتائج وأحكام أخرى: (وإذا وحَّد الله تعالى بأنه واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقد عرفه، وإن أقرّ بالجملة التي إن أقرّ بها كان مسلماً فقد أقرّ بالله عز وجل)[٣]، وهي كما نلاحظ اشتملت عدة أحكام أدّى بعضها إلى بعض.

٣- **صياغة عبارات عقدية في هيئة تأصيل موجز:** تعتبر هذه العبارات هي خلاصة التأصيل، أو النتيجة الموجزة التي أوصل إليها التأصيل بدون ذكر مقدمات؛ وإنما جاءت تعقيب على موضوع تندرج تحته جملة من التأصيلات، ومن ذلك ما أورده العوتبي بقوله: (وَكُلُّ معروف بنفسه مصنوع قائم في سواه معلول بصنع الله يستدل عليه، وبالفطرة تثبت حجته، وبالعقول تعتقد معرفته)[٤]،

---

(١) المصدر نفسه، ج١/٥٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١/٥٩٧.

(٣) المصدر السابق، ج١/٥٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١/٥٣٣.

وهذه العبارة جاءت مشتملة على الدليل والنتيجة بإيجاز.

٤- **ذكر الأقوال وعدم التعقيب عليها:** وهي من الصور التي كان لها ورود في موسوعة الضياء، ويظهر أنَّ سكوته عن التعقيب عليها هو إقرارٌ منه بمضمونها، وهذه الصورة ترد في حالة التقديم للمسألة محل التحرير، ومن ذلك ما أورده في سياق مسألة الاسم والمسمى في حق الله تعالى، حيث أورد أكثر من عشرة أقوال تؤدي إلى نفس النتيجة، ولم يعقب عليها(١).

٥- **تقسيم المسالة ثم تحرير وتأصيل المسائل الجزئية في كل قسم:** وهي صورة تدل على مقصد تبسيط عملية التأصيل، وتنظيم عملية تحريرها، ومن ذلك ما جاء في تقسيم التكليف إلى معنيين: المعنى الذي يجوز، والمعنى الذي لا يجوز(٢)، وفي مثال آخر: جاء تقسيم الصفات إلى صفات الذات وصفات الفعل(٣)، وتحت كل قسم أورد جملة من المسائل مع التأصيل العقدي لها.

٦- **يبدأ بمقدمة تأصيلية ثم أدلة من القرآن الكريم والسُّنة النبوية مع التعقيب بذكر شواهد شعرية ثم يعود في النهاية إلى تأكيد ما جاء في المقدمة من أحكام:** من أمثلة ذلك ما أورده العوتبي في سياق التأصيل لمسألة أنَّ الرسول يكون حجة بتبيين رسالته، وليس بمجرد مشاهدته دون تبيين، حيث بدأ بمقدمة ثم ذكر أكثر من عشر آيات وثلاثة أحاديث وشاهدين من الشعر العربي، ثم ختم بقوله: (فهذا ومثله في الكتاب ما يؤيِّد ما ذكرته والله تعالى أعلم)(٤).

٧- **ذكر افتراضات وحالات وأمثلة مع تأصيل مسألتها وبيان حكمها:** وهي صورة تدل على الأفق الواسع في النظر إلى المسائل العقدية من جهة، وفيها مزيد شرحٍ وبيان من جهةٍ أخرى، ومن ذلك ما جاء في موسوعة الضياء في سياق تأصيل مسألة قيام الحجة، حيث قال: (ومن كان في جزيرة لا علم له بالناس ولا الشرائع؛ فعليه في حال التكليف أن يعلم أنَّ له خالقاً خلقه، وصانعاً صنعه ..)(٥)، ولم يكتفِ بهذا، بل أورد افتراضات أخرى، وفي مثال آخر: أورد أكثر من خمس مسائل متتابعة تحت موضوع الولاية والبراءة(٦).

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ج١/ ٥٣٦-٥٣٧.
(٢) المصدر نفسه، ج١/٥٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ج١/ ٦٥٣.
(٤) المصدر السابق، ج١/٥٣٩-٥٤٤.
(٥) المصدر نفسه، ج١/٥٤٦.
(٦) المصدر نفسه، ج٣/١٢٤.

٨- **الاختصار وعدم التوسع في ذكر أدلة المسألة:** وقد صرح العلامة العوتبي بذلك بقوله: (وغير هذا من الاحتجاج تركته اختصاراً)[١]، وهي صورة تعبر عن منهج واضح في اختيار التوسع أو الاختصار، ومن أمثلة ذلك تأصيله لمسألة زيادة الإيمان ونقصانه[٢]، حيث اختصر التأصيل فيها مع كثرة الاختلافات والأقوال حولها، وناقشها من زاوية كمال الدين، فلا زيادة فيه ولا نقصان، ولعل الحراك الفكري في بيئة العالم عامل مؤثر في التوسع أو الاختصار؛ حيث يحتد النقاش في بعض المسائل ويخفت في بعضها الآخر.

٩- **طول النفس في تأصيل بعض المسائل العقدية:** وهي صورة لها حضورها في بعض المباحث العقدية في موسوعة الضياء، وهي من مؤشرات العبقرية الفكرية في المعالجة والتحرير والتأصيل، ومثال ذلك: تأصيل معنى (الرحمن الرحيم) عقدياً، حيث أطال العلامة العوتبي النقاش وتقليب المسألة على وجوه متعددة شملت عرض الأقوال والمعاني والتعقيب عليها[٣]، وهي -بلا شك- صورة تعطي الكثير من الفوائد المصاحبة لعملية التأصيل.

١٠- **عرض تأصيل مسألة جزئية متفرعة عن المسألة الرئيسة:** وهذه الصورة لها شواهدها الكثيرة في موسوعة الضياء، ومن أمثلتها: تعرض العوتبي لتأصيل مسألة معنى اسم الله تعالى (الحليم)، وعقب بمسألة جزئية متفرعة، قال فيها: (صفة الحليم: صفة ذات وصفة فعل، والحليم في معنى العليم من قوله: «فبشرناه بغلامٍ حليم» [الصافات: ١٠١]؛ يعني: فهذه صفة ذات. والحليم من تأخير العقوبة: صفة للفعل، والله أعلم)[٤].

١١- **يعرض مقدمات تأصيلية تشبه عرض البحوث العلمية الحديثة:** تظهر هذه الصورة واضحةً في بداية الأبواب العقدية، حيث جعل كُلُّ الأبواب مقدمات، وهي مدخل لتأصيل المسائل المندرجة تحت الباب العقدي المراد عرض مسائله، وتحتوي على تأصيل للمفاهيم والمصطلحات العقدية؛ الأمر الذي يسهل عملية التأصيل لاحقاً، ومن ذلك المقدمة التأصيلية التي وضعها في استفتاح باب القضاء والقدر، وركَّز فيها على معاني القضاء، ومعاني القدر لغةً وشرعاً[٥]، وكذلك المقدمة التي وضعها في فصل أحكام الولاية والبراءة؛ حيث شملت تقسيمات

---

(١) المصدر نفسه، ج١/٥٥١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج٣/٧٢.

(٣) المصدر السابق، ج١/٥٧٠-٥٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١/٦٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٢/٢١٧-٢٢٢.

وطرق ومعاني وغير ذلك؛ تمهيداً للدخول في المسائل الجزئية[١].

١٢- **عرض الاختلاف في المسألة أولاً ثم التأصيل لها:** لهذه الصورة شواهد متعددة في موسوعة الضياء، ومن أمثلتها: ما ورد في بداية عرض مسألة الإيمان والإسلام، حيث قال: (اختلف الناس في الإيمان: فقال بعضهم: هو شيء واحد، وقال آخرون: الإيمان غير الإسلام، ولكل فرقة منهم احتجاج على قوله..)[٢]، ثم شرع في بيان أدلة كل فرقة، والتأصيل للمسألة والمسائل الجزئية التابعة لها.

ثانياً: ضوابط التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

سبق الحديث عن المنطلقات في منهج التأصيل العقدي عند العلامة العوتبي في موسوعة الضياء، وهي محددات عامة تضبط العملية التأصيلية؛ وفي هذا العنصر يسعى الباحثان لاستخلاص محددات جزئية من منهج التأصيل العقدي في الموسوعة، ومن هذه الضوابط التي تمَّ التوصل إليها بعد عملية الاستقراء ما يأتي:

١- **تحري صحة الأدلة المستدل بها في عملية التأصيل:** تحدَّث العوتبي عن ضرورة تحري صحة السنة النبوية في عملية الاستدلال فقال: (وسُنَّة مختلف فيها لم يبلغ الكلّ علمها، وهي التي يقع التنازع بين النَّاس في صحَّتها؛ فلذلك يجب طلب الأسانيد والبحث عن صحَّتها، ثمَّ يقع التنازع في تأويلها إذا صحَّت بنقلها، فإذا اختلفوا في حكمها كان مرجعهم إلى الكتاب)[٣]، وهذا التحري كما نرى يعتبر ضابط لعملية التأصيل الصحيحة؛ فهو يوجه المسألة إلى الرأي الصحيح فيها.

٢- **تحري الدقة في النقل عن العلماء السابقين:** نظراً لضرورة البناء على أقوال السابقين في عملية التأصيل العقدي؛ فإنَّ تحري الدقة في نقل هذه الأقوال يعتبر من الضوابط التي تضبط عملية التأصيل العقدي، والخطأ في هذا النقل – بلا شك- من شأنه أن يربك هذه العملية، ويؤدي بها إلى خلل منهجي، والنظرة الاستقرائية لموسوعة الضياء يلحظ الدقة في النقل، وذكر أسماء من ينقل عنهم في بعض الأحيان، وينقل أحيانا بدون ذكر المصدر، ولكن في الحالتين يظهر التحري وتبرز الدقة في النقل بشكل واضح، وممن نقل مقولاتهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو سفيان

(١) المصدر نفسه، ج٣/١٢٠-١٢٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣/٨٢-٨٣.
(٣) المصدر السابق، ج٣/١٥.

محبوب بن الرحيل، وأبو معاوية عزان بن الصقر، والربيع بن يزيد[١] وغيرهم كثير؛ حيث نراه ينقل مقولات عنهم بشكل تجتمع فيه الثقة مع الضبط، ثم يعقب عليها استكمالا لعملية التأصيل.

٣- **التخريج على قواعد عقدية صحيحة:** لقد شمل الضياء في الأجزاء الثلاثة الأولى منه العديد من القواعد العقدية التي تضبط عملية التأصيل العقدي، وقد قام العوتبي بالتخريج عليها، ومن هذه القواعد بشكل مختصر:

- (وما كان طريقه طريق النقل فغير لازم فرضه، ولا هالك من جهله إلَّا بعد قيام الحُجَّة عليه بالخبر المنقول إليه)[٢].

- (لا حظَّ للعقول فيما استقبحت مع ورود الشرع بالإباحة)[٣].

- (ما اجتمعت عليه الأمَّة فلا يجوز الوقوف فيه، وقد قامت به الحُجَّة)[٤].

- (الإيمان بجملتها إيمان بتفسيرها، والإيمان بتفسيرها إيما بجملتها)[٥]، جاءت هذه القاعدة في سياق أسماء الذات وأسماء الصفات.

- (كلُّ ما وافق قوله تعالى: "ليس كمثله شيء" [الشورى: ١١]، كان أولى بصفاته من صفات الملحدين)[٦].

- (لا يجوز أن يسمَّى الله تعالى إلا بالاسم الذي يكون مستحقاً له ولمعناه من جهة العقول واللغة)[٧].

- (وكُلُّ حجَّة دلالة، وليس كُلّ دلالة حجَّة)[٨].

- (وإذا خطَّأ إنسان إنساناً فقد برئ منه، والبراءة هي التخطئة)[٩].

- (الواقف سالم إذا كان وقوفه وقوف سؤال)[١٠].

---

(١) المصدر نفسه، ج٣/ ١٣٠-١٣١.

(٢) المصدر السابق، ج١/٥٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١/٥٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١/٥٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ج١/٦٤٦.

(٦) المصدر نفسه، ج١/٦٥٦.

(٧) المصدر نفسه، ج٢/ ١٦.

(٨) المصدر نفسه، ج٣/٢٨.

(٩) المصدر نفسه، ج٣/١٢٣.

(١٠) المصدر نفسه، ج٣/١٣٥.

٤- **استيعاب مسائل الخلاف وأدلتها والاعتراضات الواردة فيها:** فعدم الاستيعاب لهذه الأمور يجعل عملية التأصيل تتجه إلى طريق ضيق الأفق، وتختصر مراحلها اختصارا يخل بالمنهجية الصحيحة في التأصيل، ويخلط بين مسائل الدين ومسائل الرأي، والعوتبي كان بارعاً في استيعاب هذه الأمور، وظهر ذلك بشكل واضح في الكثير من المسائل في موسوعته الضياء، بل جعل الفقه المقارن إحدى ركائز هذه الموسوعة، ومن أمثلة ذلك ما أورده في سياق الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه، حيث قال معترضاً على الذين شبهوا الله بخلقه مستوعباً المسألة وأدلتها: (فلجهل الجاهلين بصفات رب العالمين أن يشبّهوه بخلقه -تعالى الله- لذكره النفس والعين واليدين والقبضة واليمين وغير ذلك، والحقُّ غير ما ذهبوا إليه، وأن الله لم يوصف من ذلك بشيء إلا وله معان، وكلُّ ما وافق قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» [الشورى: ١١] كان أولى بصفاته من صفات الملحدين)[١]، وهي مسألة أخذت مساحة واسعة من النقاشات بين الفرق الإسلامية، وبراعة استيعاب المسألة وتفنيد القول المخالف واضحة في التأصيل الذي قدَّمه العوتبي.

٥- **العلم بقواعد التعارض والترجيح بين الأخبار:** يحتاج التأصيل العقدي إلى إتقان تطبيق قواعد التعارض والترجيح، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بمسائل الخلاف، وقد صرح العوتبي بذلك في موسوعته، وطبقه عملياً في تأصيله للمسائل، حيث قال: (وإذا ورد خبران أحدهما عامٌ والآخر خاص أو مفسَّر، كان الخاصُّ والمفسَّر قاضياً على العام)، ويضيف في ذات السياق: (وإذا ورد خبر فالواجب إجراؤه على عمومه ولا يخصُّ إلا بحجَّة)[٢].

المحور الثالث: آليات وثمار توظيف منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

يُعنى هذا المحور بتناول آليات توظيف منهج التأصيل العقدي عند العلامة العوتبي في كتابه الضياء، والذي يحاول الباحثان فيه أنْ يستخلصا أبرز هذه الآليات، والتي تمثل الشق التطبيقي في هذا البحث؛ لأنها تحتوي على عدة عمليات في منهجية التأصيل مع شواهدها وأمثلتها، ويأتي استخلاص ثمار هذا المنهج التأصيلي في العنصر الآتي من هذا المحور.

---

(١) المصدر السابق، ج١/٦٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/٤١١.

أولاً: آليات توظيف منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

ظهر من خلال عملية الاستقراء للأجزاء الثلاثة الأولى من موسوعة الضياء- والتي اشتملت على عددٍ من الأبواب العقدية-؛ وجود آليات متنوعة قام العلامة العوتبي بتوظيفها في بناء مسائل العقيدة، وتأصيلها بشكل عبقري يستوعب المنطلقات والضوابط التي تمت مناقشتها سابقاً، ومن أبرز هذه الآليات والعمليات التأصيلية في موسوعة الضياء:

١- منهج الترجيح عند اختلاف الأقوال في المسألة: وهي عملية تلازم المجتهد في مسائل الرأي، وتمثل في الوقت ذاته النتيجة النهائية من مراحل التأصيل، وقد تنوع منهج العوتبي بين الترجيح وعدمه، وإن كانت مرات الترجيح هي الأغلب، ولذلك شواهد وأمثلة كثيرة، منها: قوله: (ويعجبني ما قال في الكلام: إنَّه مثلهما، وفيه نظر)[١] في التعقيب على كلام العلامة ابن بركة في جواز وصف الله تعالى أنه لم يزل المتكلِّم قياساً على جواز ذلك في الإله والرب، وهو ترجيح غير قطعي كما نلاحظ؛ لإضافته عبارة (وفيه نظر) أي أنه يحتاج لمزيدٍ من البحث، وكشاهدٍ على عدم الترجيح قوله: (الخِيَرَةُ مصدر في الاختيار والخير جميعاً، فالله أعلم بالأصحِّ من القولين)[٢]، في تأصيل مسألة (وصف الله تعالى بأنَّه مختار).

٢- توظيف الأحكام العقلية في عملية التأصيل: يعتبر العوتبي حجة العقل من المصادر المعتبرة بعد الكتاب والسنة والإجماع؛ ولذلك نراه يوظفها في مسائل كثيرة، وبمستويات متعددة، ومن شواهدها في كتابه الضياء:

- إثبات أنَّ الخالق واحد بالأدلة العقلية، ومن ذلك قوله في الرد على الملحدين: (وهذا يؤول إلى الفساد وإلى ما لا يصلح ولا يجوز أن يقف عند آخره؛ لأنَّ هذا يؤدِّي إلى ما لا نهاية له)[٣]، ويقصد به عدم الجواز العقلي؛ لأنه يفضي إلى ما يعرف بالدور[٤].

- القياس العقلي: يقول العوتبي في سياق تأصيل مسألة (هل يقال: الله تعالى ينفع ويضرّ): (إنّ الضرر قد يكون حكمةً وعدلاً إذا كان من فعل به ذلك مستحقّاً، والفساد لا يكون حكمةً ولا عدلاً، فلهذا لا يجوز أن يكون عز وجل مفسداً ولا فاعلاً، وأيضاً: فليس قياس الضرر قياسَ

(١) المصدر السابق، ج١/٥٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١/٥٩٢.

(٤) تعريف مَعْنَى الدور توقُّف الشَّيْء عَلَى نفسه (بشكل مباشر أم غير مباشر)، وَهُوَ ظاهر البطلان بِاتِّفَاقِ العقلاء، ينظر: دروس في أصول الدين لمصطفى شريفي، ص ٥٢.

الفساد)[١]، فيؤكد فساد قول المعترض وفساد قياسه.

- أسلوب المنطق: في سياق مسألة الرؤية يقول العوتبي: (وفيما عقلنا أنَّ كلَّ مدرَك له شبه ونظير، وكلُّ مدرَك بِبصرٍ فذو لونٍ، وكل ذي لون فيحتمل التركيب لحلول اللون في ذاته..)، ثمَّ يتابع استدلاله المنطقي بأكثر من نقطة في نفس السياق[٢].

٣- توظيف أسلوب الجدل في تأصيل بعض المسائل العقدية: وهو أسلوب له أشكال متعددة في موسوعة الضياء، ومنها:

- أسلوب (فإن قال قائل/ قيل له)، ومثال ذلك: (فإن قال: أفتزعمون أنَّه لم يزل فرداً منفرداً؟ قيل له: نعم. فإن قال: ما معنى ذلك؟ قيل له: معنى ذلك أنَّه لم يزل موجوداً وحده لا يوجد معه غيره، وأنَّه لا شريك له ولا نظير)[٣]، فالعلامة العوتبي لم يذهب هنا إلى الأسلوب التقريري المباشر في تأصيل المسألة، وإنما قام بتوظيف هذا الأسلوب الجدلي، وهو أسلوب متكرر في موسوعة الضياء.

- الأسئلة الجدلية: عقد العوتبي فصلاً بعنوان: (أسئلة جدلية موجَّهة إلى المعتزلة)[٤]، وناقش فيه مسألة خلق الأفعال؛ ليؤكد من هذه الأسئلة تأصيل المسألة بشكل صحيح يخالف الطرف المخالف فيها، وكذلك عقد فصلاً في محاججة القدرية[٥]، وطرح تحته جملة من الأسئلة الجدلية الموجَّهة إليهم.

٤- توظيف أدلة جديدة غير متداولة في نقاشات بعض المسائل العقدية: وهذا التوظيف لهذه الأدلة مع الأدلة الأخرى المشتهرة تأكيد على صحة بناء المسألة، وبيانٌ لقوة أدلتها وكثرتها، ومن ذلك ما أورده في تأصيل مسألة رؤية الله تعالى، حيث أورد مع الأدلة المشتهرة دليلين غير متداولين في الكتب الأخرى، الأول: قوله تعالى: «وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزلَ علينا الملائكة أو نرى ربَّنا لقد استكبروا في أنفسهم» [الفرقان: ٢١]، وعقب على الآية مستدلاً بها: (لأنهم سألوا ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى)، وقال أيضاً: (وأجمعت الأمَّة على أنَّ الدعاء والتعظيم لله بقولهم: «من يَرى ولا يُرى»، ولا يجوز أن يكون معظَّماً في وقت، ويُعطَّل تعظيمه في وقت)[٦].

---

(١) العوتبي، الضياء، ج٢/٢١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ج٢/١٨٣-١٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١/٣٦٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ج٣/٢٥٤-٢٥٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ج٣/٢٣٠-٢٣١.

(٦) ينظر: العوتبي، الضياء، ج٢/١٨٩.

٥- توظيف السياق في استكمال عملية التأصيل العقدي: وهذا التوظيف ضروري في عملية الاستدلال بالآيات الكريمة؛ وذلك لاستكمال مراحل التأصيل، ومن أمثلة ذلك في موسوعة الضياء قول العوتبي رداً على من يقول أنَّ قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنو» تعني المصدِّقين دون أهل الوفاء والاستقامة: (لسنا ننكر أن يكون اسم الإيمان يخاطب به أهل الإقرار، ولكن لَمَّا كانت الآية خطاب مدح لأهلها، لقوله تعالى في آخر القصة: «وكنتم على شفا حفرةٍ من النَّار فأنقذكم منها» [آل عمران: ١٠٣] علمنا أن قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا» أهل الوفاء بالطاعة)[١].

٦- إبطال استدلال الرأي المخالف في تأصيل المسألة: والنتيجة عدم صحة الأدلة في تأصيل الطرف المخالف، ومن ذلك استدلال مثبتو رؤية الله تعالى بخبر جرير بن عبد الله أنَّ النبي ﷺ قال: «إنكم سترون ربَّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامُّون في رؤيته»[٢]، حيث قال: (ولم يكن النبي ﷺ ليخبر جريراً بذلك من بين الخلق..)، ويقصد أنَّ النبي ﷺ مأمورٌ بتبليغ الجميع، وأضاف أيضاً: (وكيف ينبغي لجرير أن يسمع هذا الخبر من النبي ﷺ وهو كان من آخر الصحابة إسلاماً؟!)[٣].

٧- وضع قاعدة تأصيلية تشمل عدة مسائل عقدية: وهو كالمعيار الذي يمكن توظيفه في أكثر من مسألة أثناء عملية التأصيل، ومن ذلك ما أورده في باب: ما لا يجوز من الصفات، حيث قال في تأصيل أحد المسائل فيه: (فإن قيل هذا في صفاته تعالى فإنَّما هو مجاز ومعناه ليس بحقيقة، وهذا لا يجب له من جهة الحقيقة، إلَّا أن يكون قد استعمل الناس ذلك مجازاً فيستعمله معهم)، وهو منهج واضح يمكن توظيفه في مسائل متعددة في نفس الباب مع ضوابط أخرى لابدَّ من توفرها.

٨- تأصيل عموم المسألة ثم الانتقال إلى الجزئيات: هناك شواهد تدل على هذا توظيف آلية التأصيل العام ثم التفريع منه، ومن ذلك ما جاء في باب (نفي الرؤية)؛ حيث إنَّ العوتبي بعد أنَّ ناقش المسألة بشكل عام، قام بتأصيل مسائل جزئية مندرجة تحتها[٤]، مستحضراً في كل تأصيل الحكم العام الذي توصل إليه، وهو نفي الرؤية، مع استعراض الأدلة وشرح دلالات النصوص المستدل بها في كل مسألة جزئية.

---

(١) المصدر نفسه، ج٣/٨٣.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم الحديث: ٥٢٩، ١/٢٠٣.

(٣) ينظر: العوتبي، الضياء، ج٢/ ١٨٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ج٢/١٨٣، وما بعدها.

٩- توظيف منهج عدم التسرع في رد الأحاديث المستدل بها في عملية التأصيل: هذا المنهج يتوافق مع منهج تأويل الآيات المتشابهات، ففي حديث الزيارة: «أنَّهم يزورون ربَّهم تعالى الله ..»[(١)]، وبعد أن استبعد المعنى الحسي الحقيقي للحديث تنزيهاً لله عن الحدود والاستتار والغيبوبة في مكان دون مكان، عقب بقوله: (والحديث إن كان له أصل فتفسيره عندنا أنَّه مُحْدِثٌ لهم في تلك المواضع كرامة سوى الكرامة التي يُكرمون بها في سائر الأوقات، وهذا معناه عندنا، كقول القائل: زرنا الله إلى بيته، يعنون مكَّة، فأكرم وغفر لمن آمن واتقى، فإن كان الحديث حقاً فهذا معناه، وإلَّا فباطل)[(٢)].

١٠- توظيف منهج الوقوف في بعض المسائل: صرح العلامة العوتبي بذلك حين قال: (والوقوف في الأمور المتساوية في الحجَّة، فإن تقدَّم أحدهما بالثبات كان مزيلها مدَّعيّا وعليه البيّنة، والأخبار على العموم فيما وقفت عليه، ولا تخصّ إلا بحجَّة، والمقايسة في الدين بأخذ العلَّة، وبالله التوفيق)[(٣)]، جاء هذا الكلام في سياق تأصيل مسألة الشك والشبهة والوقوف.

١١- تقرير حكم المسألة وتأصيلها بدون ذكر الأدلة: وغالب ورود هذا الأسلوب في حالة أنَّ المسألة وقعت بين تأصيل سابق مشابهة لها في الموضوع وتأصيل لاحق كذلك في نفس الموضوع؛ فيوجز العوتبي تأصيل المسألة، ومن أمثلة ذلك: (وإذا كان رجل في بلد لا يعلم ما هو من المِلَل فحكمه حكم الإسلام إذا كانت الدار دار إقرار، ويحكم عليه بحكمهم حتَّى يستبين حاله أنَّه مخالف لأهل الإسلام)[(٤)].

هذه هي أبرز آليات توظيف منهج التأصيل العقدي عند العلامة العوتبي في كتاب الضياء، وهناك آليات أخرى يضيق المقام عن ذكرها، وتحتاج إلى دراسات وبحوث موسعة لاستيعابها؛ لأنَّ الثروة الفكرية العقدية في هذه الموسوعة غنية بالشواهد الدالة على جهد فكري متنوع، وطول نفس في طرق المعالجة والتوظيف في بناء المسائل العقدية وتأصيلها.

---

(١) أورده المنذري، الترغيب والترهيب، رقم: ٥٧٤١، ج٣٠٦/٤، وعقَّب قائلًا: (رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم هكذا معضلًا ورفعه منكر».

(٢) العوتبي، الضياء، ج١٩٣/٢-١٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢٥/٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٧٩/٣.

ثانياً: ثمار منهج التأصيل العقدي في موسوعة الضياء

إنَّ المنهج التأصيلي المرتكز على منطلقات متينة، وضوابط محددة، وآليات فعَّالة؛ تكون ثمراته وفوائده العلمية والحضارية متعددة، ولقد كان للعلامة العوتبي في مجال التأصيل -كمَّا مرَّ معنا- منهج واضح منضبط، والتأصيل الذي قام به في مختلف مسائل العقيدة كان له ثمرات وفوائد، وفيمَّا يأتي استخلاص لأبرز هذه الثمرات والفوائد:

١- تأصيل معاني المصطلحات العقدية الواردة في المسائل التي تناولها بالتأصيل: حيث كانت عنايته بالجانب اللغوي ثم الاصطلاحي ثم التوفيق بينهما في التعريفات التي يوردها عناية كبيرة؛ كان لها الأثر الكبير في تقديم هذه التعريفات بصورة أكثر وضوحاً، ومن تلك المصطلحات (القضاء والقدر)، حيث أورد في سياق التعريف بها: آيات قرآنية وأحاديث نبوية والمعاني اللغوية مصحوبةً بالشواهد الشعرية وأقوال العلماء السابقين(١)، وهناك أمثلة أخرى كتأصيل تعريف التوحيد(٢)، وتعريف الإلحاد(٣).

٢- تأصيل معاني أسماء الله الحسنى: خصص العوتبي مساحة كبيرة في موسوعته، وتحديداً في الجزء الأول منها لتأصيل معاني أسماء الله الحسنى(٤)، وكان له نفس طويل في معالجة مسائلها، وفي ذلك فوائد إيمانية وعلمية قيمَّة، وقدَّم فروقات دقيقة في التعريف بها.

٣- تقديم معلومات نادرة غير مشتهرة أثناء عملية التأصيل: إنَّ عملية التأصيل العقدي قد تفرز في ثنايا سطورها فوائد غير متداولة في عموم الكتب العقدية، ومن أمثلة ذلك ما ورد في موسوعة العوتبي في سياق تأصيل معنى (الرحمن الرحيم)، حيث قال العلامة العوتبي: (ومعنى هذا القول: أنَّ «الرحمن» كان اسم لله عز وجل، فلمَّا تسمَّى به مسيلمة الكذَّاب أضيف إليه «الرحيم»؛ ليكونا له دون كُلّ أحد، ويكون «الرحمن الرحيم» يجتمعان له عزوجل لا لغيره)(٥).

٤- ورود تنبيهات عقدية أثناء عملية التأصيل: قد يتخلل عملية التأصيل بعض التنبيهات التي من شأنها أن تحذر الناس من الوقوع في ألفاظ لا تجوز في حق الله تعالى، ومن ذلك قول العوتبي في سياق تأصيل معنى الفرد في حقه سبحانه وتعالى: (ولا يجوز الفذّ، فإنَّ معناه القليل، وليس معناه

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ج٢/٢١٩-٢٢٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج١/٥٥٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ج١/٥٥٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ج١/ من ص ٥٦٦ إلى ص ٦٤٦.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ج١/ ص٥٧١.

التوحيد)[١]، ومن ذلك أيضاً ما أورده من تنبيهات عند التأصيل لمسألة (حكم «لا إله إلا الله» عند المعاملات)، ومن ذلك قوله: (ولا يجوز لمن يبيع السمك أن يجعل «لا إلى إلا الله» علامةً لبيع سمكه، وذلك أن يقوله ويرفع صوته ليُعلم أنَّ معه سمكاً فيصل إليه من يريد شراءه)[٢].

٥- حل بعض الإشكاليات والتساؤلات العقدية في الفهم: تقدِّم هذه الفائدة من التأصيل العقدي حلَّ إشكاليات قد تتبادر إلى الذهان أو تطرح في سياق الجدل؛ وقد أجاب العوتبي عن الكثير من هذه الإشكاليات، ومنها ما جاء في تأصيل مفهوم الوحدانية، حيث قال: (فإن قال: إذا قلت: إنَّ الله تعالى واحد، وأنت واحد؛ فما الفرق؟ قيل له: أنا واحد في الاسم، أشياء في الحقيقة؛ لأنَّ لي النصف والثلث والربع والعشر، والله تعالى واحد في الاسم واحد في المعنى، لا يجوز عليه التجَزّيّ والقسمة والتبعيض – جلَّ الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً).

٦- تقدِّيم جمل وعبارات رائعة السبك، رفيعة اللغة والأسلوب: وفي هذه الثمرة يتجلَّى الحس الأدبي اللغوي الذي يتمتع به العلامة العوتبي، والذي قام بتوظيفه خير توظيف في موسوعته الضياء، ومن أمثلة ذلك ما أورده في تصوير حال المؤمن في سياق تأصيل معنى الإيمان، فقد سطَّر صفحة رائعة في ذلك لها أثرها الإيماني الوجداني في نفس الإنسان، وممَّا جاء في بدايتها: (المؤمن بِشْرُه في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء نفساً لا حسود لا حقود..)[٣].

٧- تقدِّيم لفتات مهمة في جانب التأصيل العقدي: إنَّ تقديم ملحظٍ هام من شأنه أن يمنع حدوث اللبس في الفهم، ويمنع في الوقت ذاته حدوث التأصيل الخاطئ؛ ويعتبر ذلك من الفوائد التي يفرزها منهج التأصيل الصحيح، ومن شواهد ذلك ما أورده العوتبي في سياق تأصيل معاني ولاية الله للمؤمنين: (والولاية ليس هي ضدّ العداوة؛ لأنَّ الولاية هي تولِّي القيام بما يتولَّاه من مال أو بلد أو غير ذلك، وليس ذلك من ضدِّ العداوة في شيء)[٤]، ويتكرر مثل ذلك في الضياء كثيراً.

٨- تقدِّيم رؤية فكرية واسعة الأفق يمكن من خلالها استيعاب المخالف: وهذه الرؤية من شأنها تصنع جواً من التعايش بين الفِرق الإسلامية المختلفة، ومن شواهد ذلك في سياق تأصيل مسألة الولاية والبراءة؛ ما قرره العوتبي بقوله: (ومن رفع يديه في الصلاة وسلَّم بتسليمتين وقرأ

(١) المصدر نفسه، ج١/٥٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ٢١٤.
(٣) المصدر السابق، ج٣/٩١.
(٤) المصدر نفسه، ج٣/١١٩.

الحمد وسورة في الظهر والعصر لم يبرأ منه)[١]، فهذا الفعل مخالف لمَّا عليه المدرسة الإباضية التي ينتمي إليها العوتبي؛ ولكنَّ لمَّا كانت تأخذ به مدارس إسلامية أخرى ولا يخالف الأصول كان التنبيه على عدم البراءة من صاحبه، وهي رؤية لها أثرها.

٩- تفسير الدليل المستدل به في عملية التأصيل العقدي: ولا يقتصر ذلك على الدليل القرآني -وإن كان فيه أظهر-؛ وإنما يشمل الأحاديث النبوية الشريفة، وفيه فائدة عظيمة وثمرة قيمَّة يستفيد منها القارئ، ومن ذلك شرح العوتبي لحديث النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يمجسانه ويهودانه وينصرانه»[٢]، في سياق من تجب فيه البراءة، حيث عقب بقوله: (والفطرة: الخلقة. ومعنى قوله عليه السلام: «يمجسانه ويهودانه وينصرانه»: أنهما يعلمانه دينهما حتَّى ينشأ عليه ولا يعرف إلَّا هو؛ فيكون حكمه حكمها)[٣].

١٠- التنبيه على مغالطات التأويل أثناء عملية التأويل: وهذه الفائدة لها قيمتها من ناحية الاعتراض على التأويلات التي تمنع من بناء الحكم في المسألة بشكل صحيح، ومن ذلك ما أورده العوتبي في سياق تأصيل مسألة (في أطفال الكفار)؛ حيث قال: (فإن قال قائل: أليس الله -تبارك وتعالى- يقول: «ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً» [نوح: ٢٧] فأخبر – جل ذكره- أنَّ ولد الكافر كافر. قيل له: هذا غلط في التأويل، وذلك أنَّ نوحاً عليه السلام لم يكن يعلم الغيب، ولكن بما قال الله عز وجل)[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ج١٢٧/٣.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث: ١٣١٩، ج٣٦٥/١.

(٣) العوتبي، الضياء، ج١٤٢/٣.

(٤) المصدر السابق، ج١٦٩/٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي سخر لهذه الأمة علماء أجلاء يدافعون عن حياض هذا الدين العظيم، وينشرون علوم الشريعة بفكر ثاقب وتأصيل سديد، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد كانت رحلة شائقة ماتعة في سطور الأجزاء الثلاثة الأولى من موسوعة الضياء للعوتبي، والتي تناولت موضوعات في العقيدة، وعُنيت هذه الدراسة بجانب التأصيل العقدي، وقد خلصت إلى مجموعة من النتائج، ومنها:

- برزت أهمية التأصيل العقدي عند العوتبي من خلال تقدير مكانة العقيدة الإسلامية، والتفريق بين الحقائق والأوهام، والتدليل على قوة منهج المدرسة التي ينتمي إليها، والكشف عن الشبهات العقدية، ومعالجة أحكام النوازل العقدية، وبيان منهج الرد على المخالف.

- كان للعلامة العوتبي في تأصيله العقدي منطلقات منها: التنزيه المطلق لله تعالى، ومنهج رد المتشابه على المحكم، واعتماد منهج التأويل، والعناية بمعهود الخطاب العربي، وتوظيف العقليات بشكل صحيح، والبناء على الأصول العقدية.

- جاء التأصيل العقدي عند العوتبي على عدة أشكال وصور منها: ذكر الحكم العقدي متبوعاً بالدليل، وترابط نسق الأحكام العقدية، ومنهج الاختصار، وذكر الأقوال دون تعقيب، وتقسيم المسألة محل التأصيل، وذكر مقدمة ثم الأدلة من القرآن فالسنة فالشواهد الشعرية، وطول النفس في المعالجة، وذكر الاختلاف ثم التأصيل.

- لكل عملية تأصيل ضوابط، ومن ضوابطها عند العوتبي: تحري صحة الأدلة النقلية، وتحري النقل عن السابقين، والبناء على قواعد عقدية صحيحة، واستيعاب المسألة وردودها واعتراضاتها، والعلم بقواعد التعارض والترجيح.

- لقد كانت لمنهج التأصيل العقدي عند العوتبي آليات منها: توظيف منهج الترجيح، ومنهج الجدل، وتوظيف الأحكام العقلية، وإبطال قول المخالف، والبدء بالعموم ثم الجزئيات، وعدم التسرع في رد الأحاديث، ومنهج الوقوف.

- أفرز منهج التأصيل العقدي عند العوتبي عدة ثمار منها: تأصيل المفاهيم والمصطلحات العقدية، وتأصيل معاني أسماء الله الحسنى، وتقديم معلومات نادرة، وحل إشكاليات في الفهم العقدي، وتقديم تنبيهات عقدية، وتفسير الأدلة، وسبك عبارات عقدية رائعة.